

تفسير ابن كثير

وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا
وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ

ولهذا قال : (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) [(مصدقا) ماضيا منصوبا على الحال

من (بما) أي : بالذي أنزلت مصدقا أو من الضمير المحذوف من قولهم : بما أنزلته

مصدقا ، ويجوز أن يكون مصدرا من غير الفعل وهو قوله : (بما أنزلت مصدقا) [يعني

به : القرآن الذي أنزله على محمد النبي الأمي العربي بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا مشتملا

على الحق من الله تعالى ، مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل . قال أبو العالية ، رحمه

الله ، في قوله : (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) يقول : يا معشر أهل الكتاب آمنوا

بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول : لأنهم يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوبا

عندهم في التوراة والإنجيل . وروى عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك . وقوله : (

ولا تكونوا أول كافر به) [قال بعض المفسرين : أول فريق كافر به ونحو ذلك] . قال

ابن عباس : (ولا تكونوا أول كافر به) وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم . وقال

أبو العالية : يقول : (ولا تكونوا أول [كافر به] أول) من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم [يعني من جنسكم أهل الكتاب بعد سماعهم بمحمد وبمبعثه] . وكذا قال الحسن ، والسدي ، والربيع بن أنس . واختار ابن جرير أن الضمير في قوله : (به) عائد على القرآن ، الذي تقدم ذكره في قوله : (بما أنزلت) وكلا القولين صحيح ؛ لأنهما متلازمان ، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن . وأما قوله : (أول كافر به) فيعني به أول من كفر به من بني إسرائيل ؛ لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير ، وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرة ، فإن يهود المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن ، فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم . وقوله : (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يقول : لا تعاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها ، فإنها قليلة فانية ، كما قال عبد الله بن المبارك : أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن هارون بن زيد قال : سئل الحسن ، يعني البصري ، عن قوله تعالى : (ثمنا قليلا) قال : الثمن القليل الدنيا بحذافيرها . وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : (

ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) وإن آياته : كتابه الذي أنزله إليهم ، وإن الثمن القليل : الدنيا وشهواتها . وقال السدي : (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يقول : لا تأخذوا طمعا قليلا ولا تكتموا اسم الله لذلك الطمع وهو الثمن . وقال أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يقول : لا تأخذوا عليه أجرا . قال : وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول : يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا . وقيل :

معناه لا تعترضوا عن البيان والإيضاح ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس لتستمروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيقية الزائلة عن قريب ، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة وأما تعليم العلم بأجرة ، فإن كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة ، ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله ، فإن لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب ، فهو كما لم يتعين عليه ، وإذا لم يتعين عليه ، فإنه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء ، كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد في قصة

اللدغ : إن أحق ما أخذتم عليه أجر كتاب الله وقوله في قصة المخطوبة : زوجتكها بما معك من القرآن فأما حديث عبادة بن الصامت ، أنه علم رجلا من أهل الصفة شيئا من القرآن فأهدى له قوسا ، فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن أحببت أن تطوق بقوس من نار فاقبله فتركه ، رواه أبو داود وروى مثله عن أبي بن كعب مرفوعا ، فإن صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء منهم : أبو عمر بن عبد البر على أنه لما علمه الله لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس ، فأما إذا كان من أول الأمر على التعليم بالأجرة فإنه يصح كما في حديث اللدغ وحديث سهل في المخطوبة ، والله أعلم . (وإياي فاتقون) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عمر الدوري ، حدثنا أبو إسماعيل المؤدب ، عن عاصم الأحول ، عن أبي العالية ، عن طلق بن حبيب ، قال : التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله ، والتقوى أن تترك معصية الله مخافة عذاب الله على نور من الله . ومعنى قوله : (وإياي فاتقون) أنه تعالى يتوعددهم فيما يتعمدونه من كتمان الحق وإظهار خلافه ومخالفتهم الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه .